صحيحًا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم **يوم يقوم الحساب** أي يثبت وهو
مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا
وثبت ضوؤها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسنادًا مجازيًا أو يكون مثل واسأل
القرية وعن مجاهد قد استجاب الله لإبراهيم فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنمًا بعد دعوته وجعل البلد آمنًا ورزق
أهله وجعله إمامًا وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس أنه قال كانت
الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقًا للحرم فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل
ولا تحسبن الله غافلا قلت إن كان خطابًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت
على ما كان عليه من أنه لا يحسبه غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون
لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد
الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب
على النقير والقطمير وإن كان خطابًا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن
عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ **نؤخرهم** بالنون
والياء **تشخص فيه الأبصار** أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى **مهطعين** مسرعين إلى الداعي وقيل
الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف **مقنعي رءوسهم** رافعيها **لا يرتد إليهم طرفهم**
لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع
إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم **وأفئدتهم هواء** الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان
جبانًا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضًا قلبه هواء قال زهير: من الظلمان جؤجؤه هواء
لأن النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان: فأنت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج أفئدتهم
هواء صفر من الخير خالية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم **يوم يأتيهم العذاب** مفعول ثان لأنذر
وهو يوم القيامة ومعنى **أخرنا إلى أجل قريب** ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك
ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم
معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب
كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق **أولم تكونوا أقسمتم** على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك
بطرًا وأشرًا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدًا وأملوا
بعيدًا **ما لكم** جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا **من زوال**
والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث
كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى **وسكنتم في**
مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني
فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون
من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون
من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا **وتبين لكم** بالأخبار والمشاهدة كيف أهلكناهم وانتقمنا

منهم

منهم وقرئ ونبين لكم بالنون **وضربنا لكم الأمثال** أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال
المضروبة لكل ظالم **وقد مكروا مكرهم** أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم **وعند الله مكرهم** لا يخلو إما أن
يكون مضافًا إلى الفاعل كالأول على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه به وهو عذابهم الذي يستحقونه
يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب
زوال الجبال مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوًّى لإزالة الجبال معدًّا لذلك وقد جعلت إن نافية
واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه
لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتًا وتمكنًا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان
مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقراءة عمر وعلي رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم **مخلف وعده**
رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول
الثاني على الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الميعاد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله الذين
هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم
شركائهم **عزيز** غالب لا يماكر **ذو انتقام** لأوليائه من أعدائه **يوم تبدل الأرض** انتصابه على البدل من يوم يأتيهم
أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضًا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السماوات والتبديل
التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودًا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي
الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتمًا إذا أذبتها وسويتها خاتمًا فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسماوات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها
وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد: وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها
أبوابًا وقيل يخلق بدلها أرض وسماوات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد
خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضًا من فضة وسماوات من ذهب وعن الضحاك أرضًا من فضة بيضاء كالصحائف
وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون فإن قلت كيف قال **الواحد القهار** قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة
والشدة **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله **في الأصفاد** إما أن يتعلق
بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال
وأنشد لسلامة بن جندل: وزيد الخيل قد لاقى صفادًا * يعض بساعد وبعظم ساق * القطران فيه
ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى
الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع
فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الأربع لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين
ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه
ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره **وتغشى**
وجوههم النار كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)